

أهم الطرق المستخدمة في تنمية لغة المعاقين سمعياً

دكتور فراس طقاطقة – جامعة الملك عبدالعزيز

المقدمة

تعد فئة الإعاقة السمعية إحدى الفئات الخاصة التي تزايد الاهتمام بتقديم و توفير الرعاية التربوية لها بصورة ملحوظة، ولم يقتصر ذلك على المعاقين سمعياً في مراحل التعلم المدرسي فحسب، بل امتد أيضاً ليشمل مرحلة ما قبل المدرسة. ويعتمد إدراك وفهم الإنسان لعالمه على المعلومات التي يستقبلها عبر الحواس (السمع، البصر، الشم، اللمس، الذوق). وحدث أي خلل في واحد أو أكثر من هذه الحواس ينجم عنه صعوبات متنوعة، وينصب الاهتمام في هذا الوحدة على عجز حاسة السمع عن القيام بدورها؛ فمثل هذا العجز يمكن أن يقود إلى صعوبات متنوعة؛ لأن السمع يلعب دوراً رئيساً في نمو الإنسان. فحاسة السمع هي التي تجعل الإنسان قادراً على تعلم اللغة، وهي التي تشكل حجر الزاوية بالنسبة للتطور المعرفي و الاجتماعي و الأكاديمي. كذلك فإن حاسة السمع تمكن الإنسان من اكتساب اللغة و فهم البيئة و التفاعل معها. كما تعبّر اللغة - التي يكتسبها الإنسان عن طريق السمع- عن شخصية الإنسان ومدى تكيفه مع الآخرين (الخطيب، 2005).

طرق التعليم و التواصل مع الصم و ضعاف السمع:

يواجه المعلم الذي يعمل مع الطلاب الصم و ضعاف السمع بكم هائل من المشكلات، و إحدى أهم هذه المشكلات تتمثل في التواصل، والذي يعرف بأنه عملية تبادل الأفكار و المعلومات، و هو عملية نشطة تشتمل على استقطاب الرسائل و تفسيرها ونقلها للآخرين. و يعتبر الكلام و اللغة وسائل رئيسة للتواصل، وهناك طرق أخرى يتم فيها التواصل، يشار إليه بالتواصل غير اللفظي مثل الإيماءات، و وضع الجسم، و التواصل العيني، و التعبيرات الوجهية، و حركات الرأس و الجسم، و هناك أبعاد لغوية موازية لها) و تشمل التغييرات في نبرة الصوت، و سرعة تقديم الرسالة و التوقف أو التردد).

و أهم وسائل التواصل الإنساني هما اللغة و الكلام، و من الجدير هنا ذكر الفرق بينهما لأهميتهما في عملية التواصل، فاللغة (Language) تعتبر النظام الرمزي الكلي المستخدم في التواصل، و هذا النظام متفق عليه، و هو يشمل إعطاء المعاني للأصوات و الكلمات و الإيماءات و الرموز الأخرى. و عليه فاللغة قد تكون منطوقة و قد تكون اشارة إيمائية. و أما الكلام (Speech) فهو سلوك تشكيل الأصوات و ترتيبها لفظياً و لهذا يعتبر الكلام وسيلة من وسائل التواصل اللغوي، و يشار إليه أيضاً بالتواصل اللفظي (السرطاوي و أبو جودة، 2000؛ Heghe, 2001).

و لا يعتبر الكلام طريقة التواصل بين الأفراد فحسب، بل إنه الوسيلة للتفكير أيضاً، و يعتقد الباحثون أن وجود الكلام و درجة رقيه تعتبر مؤشراً على مستوى ذكاء الأفراد (عدس، 2005). و كما أشرنا من قبل فإن للتواصل اللفظي أهمية لا تدانيها أهمية، في التواصل بين الأفراد في مواقف الحياة المختلفة، مما يجعل البعض يقع في خطأ عدم التفريق ما بين اللغة و الكلام.

بناء على ما سبق، فإن العجز عن النطق أو الكلام، يعتبر من المحددات الخطيرة التي تواجه الإنسان، و هذا ما يجعل من الإعاقة السمعية حالة مختلفة عن باقي حالات الإعاقة الأخرى. فالتواصل مع الطفل المعاق سمعياً يعتبر من أهم المشكلات في تعليمه، و حياته الأكاديمية، و الاجتماعية، و النفسية (الخطيب، 2005؛ ASHA, 2002).

حيث يعتبر تدني مستوى الصم و ضعاف السمع الأكاديمي خاصة في مجالات القراءة، و الكتابة، و اللغة المسموعة و المنطوقة من المعضلات التي تواجه العاملين في مجال تعليم تلك الفئة، و يضعهم أمام تحد كبير أمام أنفسهم، و أمام الصم و ضعاف السمع، و أمام المشرعين من أجل إثبات فائدة و فعالية الجهود التي يقومون بها.

وقد بدأ الاهتمام ينصب على تعليم المعاقين سمعياً نتيجة للتطورات الاجتماعية والتربوية بشكل عام، فقد ظهرت تطورات عديدة في مجال استخدام الأساليب التربوية التي ساعدت على دمج المعاقين سمعياً و وضعهم في الأماكن التربوية المناسبة (Hallahan & Kauffman, 2003).

ومما سبق نستنتج انه، من أجل تنمية المهارات اللغوية التعبيرية و الاستقبالية للأطفال ضعاف السمع لا بد من الاهتمام بثلاثة أمور أساسية؛ طريقة التواصل الأمثل ومشاركة الأهل و تدريب الأطفال في المراحل العمرية المبكرة. وثم الجمع بين هذه الأمور الثلاثة وتقديمها لهؤلاء الأطفال لاستثمار البقايا السمعية عندهم ولتحسين قدراتهم اللغوية. و هذه المحاور هي التي تشكل ما يتعارف عليه بين الأخصائيين و الباحثين بمصطلح التأهيل السمعي. وهذا يستدعي استعراض لهذا المصطلح، لأنه الأساس النظري و العملي الذي اعتمدت عليه الدراسة الحالية.

التأهيل السمعي (Auditory Rehabilitation):

يُعرّف التأهيل السمعي على انه مجموعة الجهود التي تهدف إلى مساعدة الأشخاص المصابين بفقدان سمعي، وهذا يتضمن الفحوصات و الإجراءات التي ترمي إلى تقليل أو التعويض من تأثيرات الإعاقة السمعية، ويهدف بالتحديد إلى تسهيل اكتساب مهارات اللغة الاستقبالية والتعبيرية، كما تهدف عملية التأهيل السمعي إلى مساعدة الأطفال ضعاف السمع للحصول على أقصى إفادة ممكنة للبقايا السمعية من خلال استخدام المصادر التعليمية، والأدوات التدريبية الخاصة، ومشاركة الأهل، لمساعدتهم على التغلب على الصعوبات الناجمة عن الفقدان السمعي. ومن الضروري أن يتم تزويد ضعاف السمع بالخدمات الطبية والتعليمية بشكل يتزامن مع عملية التأهيل (Tye-Murray, 2004).

ومن الطرق التدريبية التي تستخدم في علاج وتنمية شقي اللغة لضعاف السمع، و المستخدمة في التأهيل السمعي هي: التدريب على الكلام و قراءة الكلام و التدريب السمعي و التدريب اللفظي. وفي ما يأتي شرح موجز عن كل طريقة، و التركيز على الطريقة التي تبناها الباحث في دراسته الحالية، كمحور أساسي في التأهيل السمعي، و هي الطريقة السمعية اللفظية.

أولاً: التدريب على الكلام (Speech Training) :

ظهرت هذه الطريقة في التدريب في أواخر السبعينات (من أجل تسهيل عملية الدمج) وكان سببها أن أولئك الأطفال الذين يعانون من فقد السمع يواجهون العديد من المشكلات المختلفة التي تتعلق بسماعهم للكلمات التي ينطقون بها، أو ما يصدر عن الآخرين من كلمات أو أصوات. وغالبا ما نجدهم لا يسمعون الكلام المنطوق إلا بشكل مشوه، وبالتالي يجب أن يتم تعليمهم كيفية النطق بالأصوات والكلام. ونظرا لعدم قدرتهم على سماع نموذج ملائم للكلام كي يقوموا بتقليده، فإننا يجب أن نعمل على تعليمهم الأصوات الكلامية (Bess & Humes, 1995).

وفضلا عن تلك الصعوبات التي تواجههم في نطق الأصوات بطريقة صحيحة، فإن هناك مشكلات أخرى تواجههم ترتبط بعدم قدرتهم على ضبط معدل ارتفاع الصوت، ونغمته، ونوعيته أو جودته (Hallahan & Kauffman, 2003).

ثانياً: قراءة الكلام (Speech Reading) :

تتضمن هذه الطريقة تعليم الأطفال المعاقين سمعياً استخدام واستغلال المعلومات البصرية في سبيل فهم ما يقال لهم أو ما يوجه إليهم من كلمات. ويعتبر مصطلح قراه الكلام أكثر دقة من مصطلح قرأه الشفاه، لأنه يهدف إلى تعليم الأطفال أن ينتبهوا إلى مجموعه متنوعة من المثيرات إلى جانب حركات محددة للشفتين في ذات الوقت.

وهنا نجد على سبيل المثال، أن من يتمكنون بمهارة من قراءة الحديث أو الكلام، يكون بإمكانهم أن يقوموا بقراءة المثريات المختلفة التي ترتبط بسياق معين، وبالتالي فإنهم يتوقعون حدوث أنماط معينة من الرسائل في أنواع معينة من المواقف. ومن جانب آخر فإنهم يتمكنون من استخدام التعبيرات الوجيهة كي تمكنهم من تفسير ما يقال لهم. وإذا كان بإمكانهم أن يقوموا كذلك بتمييز الأصوات المختلفة فإن القدرة على تمييز الأصوات الكلامية المختلفة التي تنساب من فم المتحدث تتضمن الانتباه إلى الإشارات البصرية من اللسان والفك إلى جانب الشفتين. ولكي يتعلم الفرد على سبيل المثال أن يقوم بالتمييز بين الحروف المتحركة من خلال قراءة الكلام فإن عليه أن يركز على تلك الإشارات التي ترتبط بدرجة فتح الفك وتشكيل الشفاه (Hallahan & Kauffman, 2003).

ثالثاً: التدريب السمعي (Auditory Training):

يقصد بالتدريب السمعي تعليم الطفل ضعيف السمع لتحقيق الإفادة القصوى من البقايا السمعية المتوافرة لديه، ويشمل هذه التدريب تدريب الطفل على الإحساس، الوعي بالأصوات، التدريب على تمييز الأصوات المختلفة في البيئة، تمييز أصوات الكلام. و للتدريب السمعي دور هام في تطوير قدرة الطفل على السمع، و تطوير النمو اللغوي لديه، خاصة إذا ما تم التدريب في سن مبكرة، واستخدام التقنية السمعية لتضخيم وتنقية وعزل الأصوات أثناء التدريب (الخطيب و الحديدي، 1998).

إن الهدف الرئيس من الطرق السمعية هو تعليم الطفل كيفية استخدام البقايا السمعية، بحيث يستطيع الوصول إلى اللغة المنطوقة، لأن معظم الأطفال الصم وضعاف السمع لديهم بقايا سمعية وخاصة خلال السنوات الأولى من العمر، هذا وليس من الضروري سماع كل صوت لفهم الرسالة المنقولة، إضافة إلى ذلك هناك تأكيد كبير على الكلام وقراءة الشفاه، وهدف التعليم النهائي هو إعادة الطفل إلى وسط النظام المدرسي المعتاد. علماً أنه لا توجد طريقة واحدة تكفل النجاح لكل فرد، حيث يحتاج الوالدان إلى فهم، أن هناك أربعة عوامل حاسمة، يذكرها ستابروكس (Estrabrooks, 1997) تفصل ما بين النجاح والفشل عند اتخاذ القرار في متابعة الوسيلة السمعية وهي:

- 1- يعتبر التدخل المبكر أمراً رئيساً للوصول إلى النجاح مع الطفل ضعيف السمع (بغض النظر عن الطريقة أو الأسلوب التعليمي)، يجب إرجاء التدخل المبكر خلال الفترة الحرجة من تعلم اللغة، من الميلاد حتى سن السادسة وإذا بدأ الأطفال بالانتباه السمعي بعد سن الثالثة، تصبح العملية أكثر صعوبة تدريجياً، فالإصغاء هو مهارة أما أن تستخدم الشيء أو تفقده.
- 2- يجب أن يحصل الوالدان على خدمات اختصاصي السمع للأطفال مع ضرورة وصف المعين السمعي، لذلك يحتاج الطفل إلى إعادة تقييم سمعي كل ستة أشهر، وعدم التقليل من أهمية المعالجة والمتابعة.
- 3- يعتبر التدريب الجيد مطلباً أساسياً إذا اتبع الوالدان الخيار السمعي، عليهم أن يهتموا في البحث على أساس أن لديهم القدرة على تدريب طفلهم، والتعامل مع الأمور المطروحة، كما قد يحتاجون إلى الاستمرار في مدارس خاصة وإلى اختصاصيي معالجة الكلام، حيث لا تمتلك كثيراً من المدارس برامج شفوية خالصة (Pure Oral Programs).
- 4- توجد حاجة إلى مشاركة الوالدين على مستوى عالٍ " تعليم اللغة الملفوظة" وهذا يحتاج إلى جهد أكبر ووقت أطول وهي عملية بطيئة، فالمطلوب من الوالدين التحدث مع أطفالهم على قدر الاستطاعة حيث لا تتقن اللغة من خلال جلسات معالجة عدة مرات في الأسبوع، فهي تنشأ على مدار الساعة (Estrabrooks, 1997).

رابعاً: التدريب السمعي اللفظي : Auditory Verbal Approach

وهنا يتم تعليم وتدريب الطالب اعتماداً على استخدام البقايا السمعية وقراءة الكلام معاً. وفيها يتم استخدام المضخمات الصوتية، والتدريب على قراءة الكلام، والنطق. وفي هذا النظام من غير المسموح به استخدام لغة الإشارة ولا حتى الإشارات الطبيعية. وتقوم على فكرة أن المعاق سمعياً يجب أن يتعلم ويعمل في الظروف والأماكن التي يتعلم ويعمل فيها السامعون، وعلى اعتبار أن اكتساب مهارات اللغة المنطوقة هدف منطقي للصم في البيئة التي تستخدم اللغة المنطوقة ولا تستخدم لغة الإشارة كما في المدرسة والبيت والشارع (Patrick, 1997). ومن هنا يطلب منهم التواصل السمعي اللفظي، وليس التواصل الإشاري. وهذه الطريقة غالباً ما تستخدم مع ضعاف السمع، ومع الأفراد الذين تمت لهم عملية زراعة القوقعة (Adams & smith, 1991) .

المبادئ الأساسية التي تقوم عليها هذه الطريقة تتمثل في:

- 1- مشاركة الآباء و التدخل المبكر:
- 2- استخدام المعينات السمعية:
- 3- التركيز على نوعية التدريب على الكلام (Speech Training):
- 4- المعالجة الفردية فجلسات المعالجة مع الطفل في العيادة أو في مكان التدريب تركز على تعليم ذويه لتعزيز إنجازهم، وتحقيق نجاح للبرنامج ومتابعته المنزلية (Estrabrooks, 1997).
- 5- تطوير لغة مناسبة:
- 6- أهمية التدخل المبكر قبل الالتحاق بالمدرسة: كما توضح نتائج اختبارات اللغة، أن الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة التي يبدأ المعالجة السمعية – اللفظية يكون عمره اللغوي أقل من عمره الزمني ، هذا التفاوت هو ما يجب تلافيه بالعلاج، أي يجب أن يتقدم الأداء اللغوي حتى يعادل على الأقل المستوى اللغوي لأقرانه من الأطفال العاديين، وأحد أهداف المعالجة السمعية – اللفظية، هو تمكين الطفل من التغلب على التأخر اللغوي (Reed, 2005).
- 7- توفير مدى واسع من البدائل التربوية:
- 8- التزام المعلمين و المدرسين في هذا المجال بما يأتي :
 - مساعدة الأطفال على مراقبة أصواتهم الذاتية وأصوات الآخرين، كي يعززوا وضوح الكلام الملفوظ لديهم.
 - استخدام أنماط التصور الاصغائي و اللغوي والكلامي والمعرفي لتحفيز التواصل الطبيعي.
 - تقدير وتقييم تقدم الطفل باستمرار في المجالات الواردة سابقاً، من خلال التدخل التشخيصي وتعديل البرنامج عند الضرورة.
 - إرشاد وتوجيه الوالدين والأهل ومساندتهم بصفتهم النماذج الأساسية التي يحتوي بها أطفالهم في مجال اللغة اللفظية.
 - تقديم خدمات الدعم لمساعدة تعليم الأطفال وإحاقهم بالصفوف التعليمية العادية (Salvia & Ysseldyke, 2004)

ويختلف كل طفل وأسرته عن غيرهم في أساليب المعيشة والتعلم، كما تختلف مراحل تطور مهارات الاستماع والتواصل من طفل لآخر ومن أسرة لأخرى، وبطبيعة الحال فإن تقدم الحالة وتطورها يعتمد على عدد من المتغيرات منها:

- 1- سبب الإعاقة السمعية.
- 2- درجة الإعاقة السمعية.

- 3- عمر الطفل عند التشخيص.
- 4- مدى الإفادة من المعينات السمعية
- 5- مستوى ذكاء الطفل.
- 6- مستوى مشاركة الأسرة.
- 7- مهارات الأخصائي المعالج و الأسلوب التدريبي المستخدم.
- 8- أسلوب الطفل في التعلم (Estabrooks , 1997).

ومع كل هذه الفوائد لاستخدام التدريب السمعي اللفظي، إلا أن هناك محددات على استخدامه، فليس الطلاب ضعاف السمع جميعهم قادرين على الإفادة من هذا الأسلوب، حيث أنه ما تزال هناك بعض الأسئلة التي لم يجب عنها مثل: مدى قدرة الأطفال على الإفادة من البقايا السمعية وتوظيفها في التعلم وكذلك إذا كان ذوو الأطفال الصم و ضعاف السمع غير قادرين على ممارسة الاشتراك والتعاون الكبير المطلوب لهذا الغرض، عندها قد لا يحقق الأطفال تقدماً كبيراً (Patrick , 1997).

إن الهدف من التدريب السمعي اللفظي هو تربية الأطفال الصم و ضعاف السمع لينموا في بيئة تعليمية ومعيشية طبيعية، مما يمكنهم أن يصبحوا أشخاصاً مستقلين بأنفسهم وأعضاءً عاملين وفاعلين في المجتمع، وفلسفة التدريب السمعي اللفظي تدعم الحق الإنساني الأساسي الذي ينص على أن الأطفال على اختلاف درجات إعاقاتهم السمعية، يحق لهم فرصة تطوير القدرة على الاستماع واستخدام التواصل اللفظي ضمن نطاق الأسرة والمجتمع (ASHA, 2002; Rhoades, 2002). وعلى المتخصصين في مجال التدريب السمعي اللفظي العمل ضمن فريق تعليمي تعاوني عند إلحاق الأطفال بالنظام التعليمي واستمرارهم فيه، علماً أن الأطفال ضعاف السمع يحتاجون إلى شبكة قوية من الخدمات المساندة إذا أردنا لهم الاندماج بنجاح في بيئة الصف الدراسي العادي، ويعتبر النجاح في التحصيل الأكاديمي والدمج الاجتماعي من الأهداف الأساسية التي نسعى للوصول إليها من خلال التدريب السمعي اللفظي (Gaustad & Kelly, 2004).

المراجع العربية:

- الخطيب، جمال (2005). **مقدمة في الإعاقة السمعية**، الطبعة الثانية، عمان: دار الفكر.
- الخطيب، جمال (2003). **مستقبل التدخل المبكر في التواصل و اللغة، مقالات في التربية الخاصة المعاصرة**، العدد(1)، عمان: دار وائل للنشر.
- الخطيب، جمال و الحديدي، منى (1998). **التدخل المبكر: مقدمة في التربية الخاصة في الطفولة المبكرة**، (ط 1)، عمان: دار الفكر.
- الزريقات، إبراهيم (2003). **الإعاقة السمعية**، (ط1)، عمان: دار وائل.
- عدس، عبد الرحمن (2005). **علم النفس التربوي، نظرة معاصرة**، (ط3)، عمان: دار الفكر.

المراجع الإنجليزية:

- Adams, M. J. & Smith, M. (1991). **Listen to Learn**. Washington. DC. Alexander Graham Bell Association for the Deaf. U.S.A.
- ASHA,(2002). **Hearing Loss: Terminology and Classification Desk Reference, Volume Audiology and Speech-Language Pathology** ASHA leader,7,32.
- ASHA,(2006). **Effects of Hearing Loss on Development**, American Speech-Language-Hearing Association, ASHA leader,7,10,32.
- Bess, Fred, H. & Humes, Larry, E. (1995). **Audiology: The Fundamentals**, (2nd ed), Maryland: Williams & Wilkins.
- Estabrooks , W. (1994-1997). **Auditory – Verbal Therapy for Parents and Professionals**. Washington, DC: Alexander Graham Bell Association for the Deaf. U.S.A.
- Esterbrooks, W., (1995). **Auditory – Verbal Therapy: Infants and Preschool**, Washington, DC: Alexander Graham Bell Association for the Deaf. U.S.A
- Estabrooks, W. (2006, a). **Auditory - Verbal Therapy and Practice**, Washington, DC: Alexander Graham Bell Association for the Deaf. U.S.A
- Estabrooks , W. (2006, b). **Cochlear Implants for Kids**, Washington, DC: Alexander Graham Bell Association for the Deaf. U.S.A
, (9th ed), Boston: Allyn & Bacon.
- Hegde, M. N., (2001). **Introduction to Communication Disorder**, (3rd ed), Boston: Allyn & Bacon.
- Hallahan, Daniel, P. & Kuffman, James, M. (2003). **Exceptional Children: Introduction to Special Education**, (9th ed), Boston: Allyn & Bacon.
- Moores, D.,(1996). **Educating The Deaf : Psychology ,Principles, and Practice**. Bosten: Mifflin Company.
- Patrick, S. ,(1997). **Educating Children Who Are Deaf or Hard of Hearing: Auditory Oral**. **ERIC Digest #E551** ERIC, Clearinghouse on Disabilities and Gifted Education Reston VA. **ED414669**, 1997-08-00
- Reed, Vicki, (2005). **An Introduction to Children with Language Disorders**,(3rded), Boston: Allyn & Bacon, USA.
- Stone , P. (1998). **Revolutionizing Language Instruction in Oral Deaf Education**, Washington , DC., Alexander Graham Bell Association for the Deaf. U.S.A
- Tye-Murray, Nancy. (2004). **Foundation of Aural Rehabilitation: Children, adult, and Their Family Members**,(2nd ed), New York: Thomas, Delmar learning.